ونستطيع مشاهدة نفس ظاهرة انعدام النمو السكاني اليهودي في النقب . فهذا الجزء من فلسطين أمكن امداده بالسكان اليهود نتيجة للهجرة اليهودية الجماعية من البلدان العربية وخاصة من بلدان شمال افريقيا . وبدا السياسيون الاسرائيليون يتحدثون الآن عن توقف تطوير النقب . الاموال متوفرة والمخططات معدة وجاهزة ، ولا ينقص سوى شيء واحد فقط هو المهاجرون.يقول البروفيسور يهودا غرادوس ، رئيس دائرة الجغرافيا في جامعة بن-غوريون (النقب) : « ان النمو في النقب قد فقد اندفاعه منذ منتصف الستينات . واذا كان هناك نمو في عدد السكان في النقب ، فان ذلك عائد الى معدل الولادات المرتفع لدى البدو والذي يبلغ ٥٪ سنويا ، ويساوي اربعة اضعاف معدل الولادات لدى اليهود »[٦١] .

اذا كان النقص السكاني (الناتج عن تقلص الهجرة وانخفاض معدل المواليد) هو الذي يوقف عملية التهويد ، ملغيا بذلك المبررات المعلنة لمصادرة الارض ، فان القيادة الصهيونية لا تستطيع ان تقف متفرجة على عملية تآكل البناء الصهيوني . ان الامر لا يقتصر بالطبع على تقلص في الهجرة وانخفاض في معدل المواليد ، بل يترافق مع شكلين من اشكال النزوح هما : النزوح الداخلي من الاطراف الى التجمع المديني في الوسط ، والنزوح الى خارج البلاد . والنتيجة المترتبة على هذه التحولات ، ان الصهيونية تفقد المبررات الاقتصادية والسكانية لمصادرة اراض جديدة ، كما تفقد في الآن ذاته مبررات الاحتفاظ بقسم متزايد من الاراضي التي تمت مصادرتها في اوقات سابقة .

لكن القيادة الصهيونية لا تتوقف عن المصادرات الجديدة للارض ، لا في الجليل ولا في المثلث ولا في النقب . وغني عن القول ان عدم وجود يهود للعمل في زراعة الارض ، لا يشكل مبررا يدفع الصهيونية لارجاع الارض التي تمت مصادرتها ، الى اصحابها ، الذين يعملون ، في احيان كثيرة ، كأجراء في الارض التي تعود ملكيتها القانونية لهم .

كان من المفروض ان يقود هذا الوضع ، على الاقل ، الى امتناع القيادة الصهيونية عن مصادرة الاراضي في المناطق المحتلة منذ عام ١٩٦٧ ، أي في الضفة الغربية وقطاع غزة والجولان . ومع ذلك لم تثر قضية من الجدل السياسي ، على النطاق العالمي ، مثل الجدل الذي ثار بسبب اقامة المستوطنات اليهودية في الضفة الغربية ، بصورة خاصة ، وفي بقية المناطق بصورة عامة . غير ان كل ذلك الجدل ظل يدور حول مشروعية أو عدم مشروعية اقامة المستوطنات . وقد كلف الرئيس الاميركي نفسه ، عدة مرات ، عناء الاعلان عن « عدم مشروعية اقامة المستوطنات في الضفة الغربية » . ويجب أن نتوقع ، بين الحين والحين ، صدور تصريح عن مسؤول اميركي يعلن فيه « عدم مشروعية ... الخ » ، مرضيا بذلك شهوات الذين يبحثون عن دلائل التحول في الموقف الأميركي .

لا بد لنا من التكرار بأن النشاط الصهيوني ينطلق من مبدأ « خلق الوقائع » . ونجاح المشروع الصهيوني وفشله لا يعتمدان ابدا على كسب المشروعية أو خسارتها . والذي يشغل بال القائد الصهيوني ، في المقام الاول ، ليس رضى او عدم رضى « الرأي العام » عن اعماله ، بل توفر اليهود أو عدم توفرهم ، بالاضافة الى فعالية أو عدم فعالية المقاومة التي تلقاها الصهيونية على الارض وليس على الاثير .